أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر
ولاستدراجه فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي
يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم أن ابنته
قالت له ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يا بنتاه إن
أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا ⁂ إذا قرئ أولم
يهد بالياء كان أن لو نشاء مرفوعا بأنه فاعله بمعنى أولم يهد للذين يخلفون
من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء
أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا
الموروثين وإذا قرئ بالنون فهو منصوب كأنه قيل أولم يهد الله للوارثين
هذا الشأن بمعنى أولم نبين لهم أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا
من قبلهم وإنما عدي فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين فإن قلت
بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه أوجه أن يكون معطوفا على
ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم
أو على يرثون الأرض أو على يهديهم فإن قلت هل يجوز أن يكون ونطبع
بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على أصبناهم قلت
لا يساعد عليه المعنى لأن القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة
من قبلهم من اقتراف الذنوب والإصابة بها وهذا التفسير يؤدي إلى
خلوهم عن هذه الصفة وأن الله لو شاء لاتصفوا بها ⁂ تلك القرى نقص
عليك من أنبائها كقوله هذا بعلي شيخا في أنه مبتدأ وخبر وحال ويجوز
أن يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وأن يكون القرى نقص خبرا بعد خبر
فإن قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد

يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع

ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قوله هو
الرجل الكريم فإن قلت ما معنى الإخبار عن القرى بنقص عليك من أنبائها
قلت معناه أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها
ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل
بالبينات بما كذبوا من آيات الله من قبل مجيء الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا
إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل أي استمروا
على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين لا يرعوون
ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم
وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفي وأن الإيمان كان منافيا
لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد نطبع على قلوب الكافرين ⁂
وما وجدنا لأكثرهم من عهد الضمير للناس على الإطلاق أي وما وجدنا لأكثر
الناس من عهد يعني أن أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الإيمان والتقوى
وإن وجدنا وإن الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن
الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز أن يرجع الضمير إلى الأمم المذكورين
وأنهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنكونن ثم نجاهم
نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
إلى قوله إذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا
ذا الحفاظ بدليل دخول إن المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ
ذلك إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما ⁂ ثم بعثنا من بعدهم
الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للأمم فظلموا بها فكفروا بآيا
تنا

التقدير إذا عاهدوا قائلين لئن أنجيتنا

لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن به

أي دخول إن واللام الفارقة